بعد 20 سنة على الانتفاضة الثانية.. كيف بدا الانتصار الإسرائيلي كاملاً على الفلسطيني وأرضه؟

29 - سبتمبر - 2020

طفل فلسطيني يحتمي خلال مواجهات مع القوات الإسرائيلية خلال الانتفاضة الثانية

اندلعت الانتفاضة الثانية لأن إسرائيل استغلت المفاوضات مع الفلسطينيين للدفع قدماً بمشروعها للنهب والاستيطان. كان النفاق يصرخ إلى عنان السماء: من جهة، الحديث عن السلام، ومن الجهة الأخرى استمرار السيطرة على الفضاء الفلسطيني لمصلحة اليهود وراحتهم. كان النفاق يصرخ ولكن الإسرائيليين لم يسمعوا.

إن الغضب والقرف من الاحتيال الإسرائيلي الذي تراكم على مدى سنوات الإحباط والاستيقاظ من اتفاقات أوسلو، اندلع في 29 أيلول 2000، في اليوم التالي لاستفزاز أريئيل شارون، بمصادقة رئيس الحكومة في حينه إيهود باراك. ولكن الانتفاضة الثانية لم تكن انتفاضة بالمعنى المقبول للكلمة: باستثناء أيامها الأولى، لم تكن شعبية - مدنية، ومعظم الجمهور لم يشارك فيها، خلافاً للانتفاضة التي اندلعت في العام 1987. الأساس الشعبي - الجماعي الذي بقي فيها هو الصمود الذي أظهره الفلسطينيون أمام خطوات القمع والإحباط والعقاب والاستنزاف الاقتصادي.

الجيش الإسرائيلي وحرس الحدود والشرطة، الذين قمعوا المظاهرات بوسائل قاتلة من اليوم الأول، نجحوا في ردع متظاهرين محتملين. خاف ياسر عرفات ورجاله من الانتقاد الذي ظهر ضد السلطة الفلسطينية وحركة فتح. فقد منحوا الضوء الأخضر لأعضاء فتح والأجهزة الأمنية لاستخدام السلاح في نقاط الاحتكاك مع الجيش الإسرائيلي، وهكذا يعودون ويرتدون قبعة المقاومة ويسيطرون على المظاهرات. واعتقدوا بأن العسكرة ستعزز الموقف الفلسطيني في المفاوضات. ولا يزالون يؤمنون أن بإمكانهم وقف الكولونيالية الإسرائيلية في مناطق 1967.

لقد نجح جهاز المتحدث بلسان الجيش الإسرائيلي والحكومة في جبهة الدعاية، وقاما ببناء كذبة وكأن هناك معارك تدور بين جيوش متساوية، وأن الفلسطينيين هم الذين بدأوا بالأعمال العدائية. بعد ذلك، مثلما هي الحال الآن، لم تكن الأغلبية الإسرائيلية تحصي القتلى الفلسطينيين ولم تعتبر السيطرة على أراضيهم عدائية ممأسسة. في المقابل، بدأت تزداد أعداد الفلسطينيين غير المسلحين الذين قتلتهم إسرائيل، ثم تعززت مطالبة الفلسطينيين بالانتقام مع كل جنازة. مع ضوء أخضر من فوق، قام فلسطينيون مسلحون بإطلاق النار على مدنيين إسرائيليين (الذين كانوا مسلحين مثل كثير من المستوطنين) في الضفة الغربية والقطاع.

انضمت حماس بتأخر ما، وأظهرت بأن إذا قيس النجاح بعدد جثث الإسرائيليين، فهي أكثر نجاعة من "فتح". قامت إسرائيل بمحو الخط الأخضر، فلماذا لا تعود وتهاجم إسرائيليين. تنافست الأذرع المسلحة في حماس فيما بينها، وخسرت مع إسرائيل في المنافسة على عدد القتلى. العمليات الانتحارية خلقت ميزان رعب مع الإسرائيليين، لكنها لم توقف جرافات الإدارة المدنية.

يدور الحديث عن أربعة إخفاقات. الانتفاضة الأولى مع مطالبتها المليئة بالأمل بدولة ذات سيادة في حدود الرابع من حزيران 1967، فشلت. محادثات مدريد وأوسلو التي بدأت في أعقابها لم توقف شهوة إسرائيل للأراضي الفلسطينية. وفشل أيضاً تكتيك محمود عباس الدبلوماسي والقبول في الأمم المتحدة: إدانة دول الغرب ليست سياسة، بل مسألة ملحة. ورغم النجاحات الصغيرة والمتناثرة، فشلت أيضاً النضالات الشعبية والقانونية ضد السيطرة على الأراضي. واستخدام السلاح الذي ما زال يعتبر في نظر كثير من الفلسطينيين كذروة النضال والمقاومة، رغم أن قلائل يحتاجونه، هو أيضاً لم يوقف العملية، بل يعكس الحنين إلى الماضي، والغضب والرغبة في الانتقام، وليس له أي قيمة استراتيجية.

بعد مرور عشرين سنة على الانتفاضة الثانية، بات الانتصار الإسرائيلي كاملاً: ثمة سطو مسلح ومخطط جيداً ضد الأراضي الفلسطينية وينفذ يومياً بدون إزعاج، والنموذج الذي خلقته إسرائيل في قطاع غزة يتم استنساخه في الضفة (بما في ذلك شرقي القدس) ويترجم إلى مناطق للمقاعد، التي طالما أنها لا تظهر علامات غضب وتمرد، فلا تهم يهود إسرائيل التي هي الحاكم الأعلى.

بقلم: عميرة هاس

هآرتس 29/9/2020

كلمات مفتاحية

الانتفاضة الثانية

التعليقات

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

أكتب تعليقك هنا

الاسم*

البريد الالكتروني*

إرسال التعليق

أخبار متعلقة

عقدان على الانتفاضة الفلسطينية الثانية والمستقبل موحش لجيل كبر في أعقابها

27 - سبتمبر - 2020

بعد 20 سنة من زيارة شارون للحرم القدسي.. ما الذي جناه الإسرائيليون والفلسطينيون غير الدمار والضحايا طوال الانتفاضة الثانية؟

25 - سبتمبر - 2020

قائد عسكري: إسرائيل راضية عن التنسيق الأمني في الضفة... مع أخذ الحذر

29 - سبتمبر - 2019

في ذكرى معركة مخيم جنين.. هل تعود "الضفة" لحمل السلاح؟

2 - أبريل - 2019

مختارات

هل سيتم وضع ترامب في الحجر الصحي بعد إصابة مساعدته بفيروس كورونا؟

منذ 4 ساعات

الكشف عن مخطط الميشيات "الأرنب الأبيض" المناهضة للإسلام لتفجير المساجد والقيام بثورة ضد الحكومة الأمريكية

منذ 8 ساعات

ترامب: بايدن سيحول مينيسوتا إلى مخيم للاجئين وبوابة لـ"الإرهاب الإسلامي"- (فيديو)

منذ 9 ساعات

توكل كرمان: بن سلمان يمارس الإرهاب في اليمن كما فعل مع خاشقجي

منذ 11 ساعة

© صحيفة القدس العربي، جميع الحقوق محفوظة 2018